سلسلة السنن المهجورة والبدع المنشورة (٣)

التوسل المشروع والتوسل الممنوع

إعداد / على بن شعبان

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مُضل له ومن يُضلل فلا هادى له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ } .
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً } .
{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً، يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً } أما بعد ، فالدعاء من أعظم القربات التي تصل العبد بخالقه ، فقد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال : " الدعاء هو العبادة " رواه الترمذى ٢٩٦٩ وصححه الالبانى . وذلك لما يجتمع فى الداعى من صفات الذل والخضوع والالتجاء إلى من بيده مقاليد الأمور .

ولما كان الدعاء بهذه المرتبة ، أمر الله ﷻ عباده أن يدعوه في كل أحوالهم فقال تعالى: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ) الأعراف ٥٥ ، وبين لهم سبحانه أن من الوسائل التى يكون معها الدعاء أرجى للقبول والتوسل بالدعاء على أنواعٍ ، فمنه التوسل المشروع ومنه التوسل الممنوع .

والتوسل المشروع هو : كل ما قام الدليل في الشرع على صحة العمل به (من الكتاب والسنة)

• فمن أنواع التوسل المشروع :

١- الدعاء بأسمائه وصفاته ، قال تعالى : (وَلِلَّهِ الأسماء الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا) الأعراف١٨٠

٢- التوسل إلى الله عز وجل بصالح الأعمال التي عملها العبد. قال تعالى (رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِياً يُنَادِي للإيمان أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الأبرار)آل عمران ١٩٣
فتأمل كيف توسل هؤلاء بإيمانهم بربهم ﷻ

٣- طلب الدعاء من الأحياء الصالحين ، وذلك أن العباد يتفاوتون في الصلاح وفي قربهم ومنزلتهم عند الله ، لذلك كان الصحابة يحرصون على سؤال النبي ﷺ الدعاء لهم رجاء القبول والإجابة ، فعن أبي هريرة ﷺقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: "يدخل الجنة من أمتي زمرة هي سبعون ألفا تضيء وجوههم إضاءة القمر فقام عكّاشة بن محصن قال : ادع الله لي يا رسول الله أن يجعلني منهم ، فقال : اللهم اجعله منهم .. " البخارى ٥٨١١

• وأما التوسل الممنوع : هو كل ما لم يقم دليل في الشرع علي صحة العمل به (من الكتاب والسنة) وما نحن بصدده الان ونتحدث فيه هو نوع من أنواع التوسل الممنوع وسنناقش فى هذه الرسالة أدلة الفريقيين المانعيين له والمجيزين له واشهد الله واعاهده على الامانة فى النقل والتثبت من الحديث من حيث القبول والرد مع الفريقيين من كلام المحققين من اهل الحديث وعدم الانحياز الي احد الا للحق وهذا النوع من التوسل فيه خلاف لا أقول بين الصوفية واهل السنة فقط بل هو خلاف بين علماء أهل السنة أنفسهم بين جماهير اهل العلم وبين الامام أحمد بن حنبل والامام العز بن عبد السلام و الامام الشوكانى وغيرهم ، ولعلمى أن الخلاف في العقيدة لايسوغ أى أنه (غير معتبر) وأن الحق دائما واحد وخاصة فى العقيدة كان هذا البحث الذى أسال الله ان ينفع به المسلمين .

• ودعونا قبل أن نشرع فى البحث أن نتفق أولاً على عدة اصول سوف نمضى عليها فى بحثنا هذا وفى كل حكم فى العقيدة فمن المعلوم أن " إتباع الاصول أقرب طريق للوصول " " ومن حُرم الاصول حُرم الوصول "

الاصل الاول :– أن مسئلة التوسل من مسائل الاعتقاد

الاصل الثانى :– أن أُمور الاعتقاد كلها من المُحكمات وليس فى العقيدة مُتشابهات

الاصل الثالث :– الخلاف فى العقيدة سواء فى أصل كلى أو جزئية خلاف تضاد مذموم وليس فى العقيدة خلاف تضاد سائغ

الاصل الرابع :– أن إجماع الصحابة حُجة وهو المصدر الثانى من مصادر التشريع وهم أعلم الناس بمُراد الله ورسوله

الاصل الخامس :– طريق العلم كما اتفق الاصوليون رد المُتشابه الى المُحكم وحمل العام على الخاص وحمل المطلق على المُقيد ورد المُجمل الى المُفصل وتوضيح المُشكل بالمُبين

الاصل السادس :– العلم " قال الله قال رسوله قال الصحابة " وما عدا ذلك فليس بعلم وليس بدين وليس بحُجة

لآن (العلماء يُستدلُ على كلامهم ولا يُستدل بكلامهم)

• وعملى فى هذا البحث هو :–

١– الدليل على بدعية التوسل بذات وجاه النبى ﷺ والصالحين من الكتاب والسنة والإجماع الصحيح (إجماع الصحابة)

٢– أدلة المُجيزين للتوسل بذات وجاه النبى ﷺ والصالحين ورد المانعين من التوسل بذات وجاه النبى ﷺ والصالحين وتبيين وتوضيح بعض أُمور أُشكلت على المُجيزين للتوسل بذات وجاه النبى ﷺ والصالحين ، والرد العلمى المعتبر على جميع الشبهات التى يستدلون بها .

٣– عزو أسماء السور فى القران برقم الايات وعزو الاحاديث الى مصدرها بارقامها والحُكم عليها بالصحة إن كانت صحيحة وبالضعف إن كانت ضعيفة وبيان سبب الضعف فى الحديث وهذا كله من كلام المُحققين الاثبات من المُحدثين

أسأل الله العظيم أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، ليس لأحد فيه حظ ولا نصيب .. إنه سميع مجيب ..

ولا تنس أخى الحبيب أن تُفيدنا بتصويباتك ومُقترحاتك ، وبالنقد العلمى البناء ت / ٠١٠٢٢٧٨٠٥٣٧

فإن هذا العمل جُهد بشرى ، وقد أبى الله أن يجعل العصمة إلا لكتابه .. ولا تنسوا من قام بهذا العمل من دُعائكم ..

ناشدتُك الله ياقارئاً أن تسأل الغُفران للكاتب ********* ما دعوة أنفعُ يا صاحبى من دعوة الغائب للغائب

أولا : التوسل فى اللغة :–

• (وسل) قال الليث : وسَّلَ فلان إلى رَبَّه وسيلةً: إذا عمل عملاً تقرَّب به اليه

وقال لبيد: بلَى كلُّ ذي رَْيٍ إلى الله واسِلُ

والوسيلة : الوصلةُ والقُربى، وجمعها الوَسائل، قال الله (أُولئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ) .

ويقال: توسَّل فلان إلى فلان بوسيلة : أي تسبَّبَ بسبب ، وتقرب إليه بحرمةِ آصرةٍ تعطفه عليه . تهذيب اللغة للأزهرى ٤ / ٣٢٠

• الشفاعة : بفتح الشين مصدر شفع ، التماس العفو أو التخفيف من العقوبة عن الغير . معجم لغة الفقهاء للقلعجي ص ٢٦٤

• الشفاعة هي السؤال في التجاوز عن الذنوب من الذي وقع الجناية في حقه . التعريفات للجرجانى ١ / ١٦٨

• الشفاعة الدُّعاءُ والشَّفاعةُ كلام الشَّفِيعِ لِلْمَلِكِ في حاجة يسأَلُها لغيره وشَفَعَ إِليه في معنى طَلَبَ إِليه والشَّافِعُ الطالب لغيره يَتَشَفَّعُ به إِلى المطلوب يقال تَشَفَّعْتُ بفلان إِلى فلان فَشَفّعَني فيه واسم الطالب شَفِيعٌ . لسان العرب ٨ / ١٨٣

• وقال الفيروزآبادى فى (القاموس المحيط ٦ / ١٢٥) : (وسل إلى الله تعالى توسيلا : عمل عملا تقرب به إليه كتوسل)

• وقال ابن فارس فى (معجم المقاييس) : (الوسيلة : الرغبة والطلب يقال : وسل إذا رغب والواسل : الراغب إلى الله عز وجل وهو في قول لبيد : أرى الناس لا يدرون ما قدر أمرهم بلى كل ذي دين إلى الله واسل)

• وقال الراغب الأصفهانى : (الوسيلة : التوصل إلى الشيء برغبة وهى أخص من الوصيلة لتضمنها لمعنى الرغبة قال الله : " وابتغوا إليه الوسيلة } وحقيقة الوسيلة إلى الله تعالى : مراعاة سبيله بالعلم والعبادة وتحري مكارم الشريعة وهى كالقربة والواسل : الراغب إلى الله تعالى) . (مفردات غريب القرآن ١ / ٥٢٤ ، للراغب الاصفهانى)

• وقد نقل العلامة ابن جرير هذا المعنى أيضا وأنشد عليه قول الشاعر :

إذا غفل الواشون عدنا لوصلنا وعاد التصافى بيننا والوسائل .

التوسل فى القران الكريم :

لفظة التوسل وردت في موضعين وهما قوله { يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا إليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون } المائدة : ٣٥ وقوله { أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه إن عذاب ربك كان محذورا } الإسراء : ٥٧

• فأما الآية الأولى فقد قال إمام المفسرين ابن جرير الطبرى فى تفسيرها (يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله فيما أخبرهم ووعد من الثواب وأوعد من العقاب (اتقوا الله) يقول : أجيبوا الله فيما أمركم ونهاكم بالطاعة له في ذلك . (وابتغوا إليه الوسيلة) : يقول : واطلبوا القربة إليه بالعمل بما يرضيه)

ونقل الحافظ ابن كثير عن ابن عباس رضى الله عنهما أن معنى الوسيلة فيها القربة ونقل مثل ذلك عن مجاهد وأبي وائل والحسن وعبد الله بن كثير والسدي وابن زيد وغير واحد ونقل عن قتادة قوله فيها : (أى تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه) ثم قال ابن كثير : (وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه . . والوسيلة هى التى يتوصل بها إلى تحصيل المقصود) (تفسير ابن كثير ٢ / ٥٢ – ٥٣)

• وأما الآية الثانية فقد بين الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود ﷺ مناسبة نزولها التي توضح معناها فقال : (نزلت في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون) مسلم بشرح النووى ٨ / ٢٤٥

• قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : (أى استمر الإنس الذين كانوا يعبدون الجن على عبادة الجن والجن لا يرضون بذلك لكونهم أسلموا وهم الذين صاروا يبتغون إلى ربهم الوسيلة وهذا هو المعتمد في تفسير الآية) فتح البارى (١٠ / ١٢ و ١٣)

• قلت : وهى صريحة فى أن المراد بالوسيلة ما يتقرب به إلى الله تعالى ولذلك قال : (يبتغون) أى يطلبون ما يتقربون به إلى الله تعالى من الأعمال الصالحة وهى كذلك تشير إلى هذه الظاهرة الغريبة المخالفة لكل تفكير سليم ظاهره أن يتوجه بعض الناس بعبادتهم ودعائهم إلى بعض عباد الله يخافونهم ويرجونهم مع أن هؤلاء الذين يدعونهم عباد لله مثلهم .

أدلة القائلين بجواز التوسل بذات وجاه النبى ﷺ والصالحين :-

١- ما رواه الطبرانى قال حدثنا طاهر بن عيسى بن قيرس المصرى التميمى حدثنا أصبغ بن الفرج حدثنا عبد الله بن وهب عن شبيب بن سعيد المكي عن روح بن القاسم عن أبي جعفر الخطمي المدني عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف عن عمه عثمان بن حنيف عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلا كَانَ يَخْتَلِفُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ ﷺ فِي حَاجَةٍ لَهُ، فَكَانَ عُثْمَانُ لا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ وَلا يَنْظُرُ فِي حَاجَتِهِ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حَنِيفٍ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ بْنُ حَنِيفٍ " ائْتِ الْمِيضَأَةَ فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ ائْتِ الْمَسْجِدَ فَصَلِّ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قُلِ : اللَّهُمَّ، إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فَيَقْضِي لِي حَاجَتِي، وَتَذْكُرُ حَاجَتَكَ، وَرُحْ إِلَيَّ حَتَّى أَرُوحَ مَعَكَ "، فَانْطَلَقَ الرَّجُلُ فَصَنَعَ مَا قَالَ لَهُ عُثْمَانُ، ثُمَّ أَتَى بَابَ عُثْمَانَ ، فَجَاءَ الْبَوَّابُ حَتَّى أَخَذَ بِيَدِهِ ، فَأَدْخَلَهُ عَلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، فَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى الطِّنْفِسَةِ ، وَقَالَ :حَاجَتُكَ ؟ فَذَكَرَ حَاجَتَهُ فَقَضَاهَا لَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ : مَا ذَكَرْتَ حَاجَتَكَ حَتَّى كَانَتْ هَذِهِ السَّاعَةُ وَقَالَ : مَا كَانَتْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ فَأْتِنَا، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهِ، فَلَقِيَ عُثْمَانَ بْنَ حُنَيْفٍ، فَقَالَ لَهُ : جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا مَا كَانَ يَنْظُرُ فِي حَاجَتِي، وَلا يَلْتَفِتُ إِلَيَّ حَتَّى كَلَّمْتَهُ فِي، فَقَالَ عُثْمَانُ بْنُ حُنَيْفٍ : وَاللَّهِ ، مَا كَلَّمْتُهُ وَلَكِنْ شَهِدْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَتَاهُ ضَرِيرٌ، فَشَكَا عَلَيْهِ ذَهَابَ بَصَرِهِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: أَفَتَصْبِرُ ؟ ، فَقَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِي قَائِدٌ، وَقَدْ شَقَّ عَلَيَّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ :ائْتِ الْمِيضَأَةَ، فَتَوَضَّأْ، ثُمَّ صَلِّ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ ادْعُ بِهَذِهِ الدَّعَوَاتِ ، قَالَ عُثْمَانُ : فَوَاللَّهِ مَا تَفَرَّقْنَا وَطَالَ بِنَا الْحَدِيثُ ، حَتَّى دَخَلَ عَلَيْنَا الرَّجُلُ كَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بِهِ ضَرَرٌ قَطُّ " المعجم الصغير للطبرانى ٥٠٩

والحديث ظاهره الصحة الا ان فيه علة خفية وهي رواية عبد الله ابن وهب عن شبيب

• قال ابو احمد بن عدي الجرجاني فى كتاب (الكامل فى الضعفاء) : ما رواه ابن وهب عنه أى (شبيب) مناكير ونسخة أحاديثه عن الزهرى مستقيمة وأرجو أن لا يتعمد شبيب هذا الكذب

• ابو القاسم بن بشكوال : ذكره فى شيوخ عبد الله بن وهب وقال : له منكرات مطروح البتة ، وهو أحد الثلاثة الذين طرحهم الحارث بن مسكين

• ابن حجر العسقلانى : قال فى التقريب : لا بأس بحديثه من رواية ابنه أحمد عنه لا من رواية ابن وهب

٢- حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عثمان بن عمر حدثنا شعبة عن أبي جعفر عن عمارة بن خزيمة بن ثابت عن عثمان بن حنيف أن رجلا ضرير البصر أتى النبي ﷺ فقال ادع الله أن يعافيني قال إن شئت دعوت وإن شئت صبرت فهو خير لك قال فادعه قال فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء اللهم إنى أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبى الرحمة إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضى لي اللهم فشفعه في) الترمذى ٣٥٧٨ وقال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث أبي جعفر وهو الخطمي وعثمان بن حنيف هو أخو سهل بن حنيف وقد صححه الالباني وأبى جعفر هو عمير بن يزيد بن عمير بن حبيب

• ورد المانعون وهم الائمة الثلاثة (ابوحنيفة ، الشافعى ، مالك) وابن تيمية وجمهور العلماء على الحديث بما يلي :- أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه. والأدلة على ما نقول من الحديث نفسه كثيرة، وأهمها :

أولاً : أن الأعمى إنما جاء إلى النبى ؟ ليدعو له، وذلك قوله: (أدعُ الله أن يعافينى) فهو توسل إلى الله تعالى بدعائه ﷺ لأنه يعلم أن دعاءه أرجى للقبول عند الله بخلاف دعاء غيره ، ولو كان قصد الأعمى التوسل بذات النبي ﷺ أو جاهه أو حقه لما كان ثمة حاجة به إلى أن يأتي النبي ﷺ !! ويطلب منه ﷺ الدعاء له بل كان يقعد في بيته ، ويدعو ربه بأن يقول مثلاً : (اللهم إني أسألك بجاه نبيك ومنزلته عندك أن يشفيني، وتجعلني بصيراً). ولكنه لم يفعل، لماذا ؟ لأنه عربي يفهم معنى التوسل في لغة العرب حق الفهم ، ويعرف أنه ليس كلمة يقولها صاحب الحاجة، يذكر فيها اسم الموسَّل به بل لابد أن يشتمل على المجيء إلى من يعتقد فيه الصلاح والعلم بالكتاب والسنة ، وطلب الدعاء منه له .

• ورد المخالفون تعقيبا علي المانعون :- أن الرجل جاء فعلا لكي يدعو النبي ﷺ له ولكن الرسول علمه شي جديد عليه وهو التوسل بذاته كما حدث فلا يستدل انه كان يجلس في بيته ويتوسل لانه ما كان يعلم بعد هذا النوع من التوسل الا لما اخبره الرسول به

• قال المانعون ثانياً: أن النبي وعده بالدعاء مع نصحه له ببيان ما هو الأفضل له وهو قوله ﷺ "إن شئت دعوتُ، وإن شئت صبرت فهو خير لك ". وهذا الأمر الثاني هو ما أشار إليه ﷺ فيما رواه عن ربه تبارك وتعالى أنه قال "إذا ابتليتُ عبدي بحبيبتيه (أي عينيه) فصبر، عوضته منهما الجنة " .

• ورد المخالفون تعقيبا علي المانعين :- ان الرجل جاء الي الرسول كي يدعو له وبعد ان بين له النبي ان الصبر افضل فاختار الرجل الاعمي ان يدعو له ولكن اراد الرسول نوعا اخر من التوسل وهو التوسل بذات الصالحين فامره بالوضوء وهنا سؤال ان كان النبي هو الذي دعا للرجل فلماذا يأمره بالوضوء ويصلي ركعتين ويدعو بهذا الدعاء فالذي قال له ان يدعو بهذا الدعاء هو النبي ولم يرد في الحديث ان النبي دعا والا لنقل كما نقل دعاء الاعمي لان هذه عقيدة لايجب ان تكون بهذا الخفاء

• فعقب المانعون على المجيزين للتوسل :- النبي لما أمره ان يتوضا أراد أن يجمع له كل انواع التوسل المشروعة فامره أن يتوضأ ويصلي لان هذا عمل صالح فيتوسل به ايضا لان من انواع التوسل المشروع التوسل بالعمل الصالح

• قال المانعون ثالثاً : إصرار الأعمى على الدعاء وهو قوله : (فادع) فهذا يقتضى أن الرسول ﷺ دعا له ، لأنه ﷺ خير من وفى بما وعد ، وقد وعده بالدعاء له إن شاء كما سبق ، فقد شاء الدعاء وأصر عليه ، فإذن لا بد أنه ﷺ دعا له ، فثبت المراد وقد وجه النبي ﷺ الأعمى بدافع من رحمته، وبحرص منه أن يستجيب الله ﷻ دعاءه فيه، وجهه إلى النوع الثاني من التوسل المشروع وهو التوسل بالعمل الصالح ، ليجمع له الخير من أطرافه فأمره أن يتوضأ ويصلى ركعتين ثم يدعو لنفسه وهذه الأعمال طاعة لله سبحانه وتعالى يقدمها بين يدي دعاء النبي ﷺ له وهى كما سبق تدخل فى قوله تعالى : (وَابْتَغُواْ إِلَيهِ الْوَسِيلَةَ) المائدة ٣٥ ، وهكذا فلم يكتف الرسول ﷺ بدعائه للأعمى الذي وعده به بل شغله بأعمال فيها طاعة لله سبحانه وتعالى وقربة إليه ليكون الأمر مكتملاً من جميع نواحيه وأقرب إلى القبول والرضا من الله سبحانه وعلى هذا فالحادثة كلها تدور حول الدعاء كما هو ظاهر وليس فيها ذكر شيء مما يزعمون .

• فرد المجيزون للتوسل وقالوا :– هنا سؤال أين دعاء النبى ﷺ له ؟ ، ظاهر الحديث أن الرجل توسل بذات النبى ﷺ اذا ما الصارف الذى جعل التوسل هنا بدعاء النبى ﷺ ؟ ، أُبين أكثر واوضح ، الرجل قال اسالك واتوجه اليك بنبيك محمد ﷺ فالظاهر ذاته أى ذات النبى ﷺ فما القرينة او الصارف الذى جعلكم تقولون أنه يقصد أسالك واتوجه اليك بدعاء نبيك ؟ !!

• فرد المانعون للتوسل بذات النبى ﷺ :– القرينة او الصارف فى هذا المبحث الرابع :–

١– أن فى الدعاء الذى علمه رسول الله ﷺ إياه أن يقول : (اللهم فشفعه فى) وهذا يستحيل حمله على التوسل بذاته ؟ أو جاهه ، أو حقه ، إذ أن المعنى : اللهم اقبل شفاعته ﷺ فى ، أي اقبل دعاءه فى أن ترد على بصرى ، والشفاعة لغة الدعاء وهو المراد بالشفاعة الثابتة له ﷺ ولغيره من الأنبياء والصالحين يوم القيامة، وهذا يبين أن الشفاعة أخص من الدعاء، إذ لا تكون إلا إذا كان هناك اثنان يطلبان أمراً، فيكون أحدهما شفيعاً للآخر بخلاف الطالب الواحد الذي لم يشفع غيره

قال ابن منظور في "لسان العرب" (١٨٤/٨) : (الشفاعة كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره والشافع الطالب لغيره يتشفع به إلى المطلوب ، يقال بشفعت بفلان إلى فلان فشفعني فيه) .اهـ
فثبت بهذا الوجه أيضاً أن توسل الأعمى إنما كان بدعائه ﷺ لا بذاته

٢– حديث أَنَسٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قَحَطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا فَتَسْقِينَا وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا فَاسْقِنَا قَالَ فَيُسْقَوْنَ " البخاري ١٠١٠ فتفسير هذا الحديث يبينه ويوضح معناه حديث البلاذري قال حَدَّثَنِي إِسْحَاقُ الْفَرْوِيّ ُ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ، عَنْ مَيْمُونَ بْنِ مَيْسَرَةَ عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ ، قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ يَوْمَ غَدَا لِيَسْتَسْقِيَ عَامَ الرَّمَادَةِ مُتَوَاضِعًا خَاشِعًا عَلَيْهِ بُرْدٌ لا يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ فَرَفَعَ صَوْتَهُ بالاسْتِسْقَاءِ وَعَيْنَاهُ تَفِيضَانِ وَالدُّمُوعُ تَجْرِي عَلَى خَدِّهِ وَلِحْيَتِهِ، وَإِنَّ الْعَبَّاسَ لَعَنْ يَمِينِهِ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ يَعِجُّ إِلَى رَبِّهِ، وَأَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّكَ، وَالْعَبَّاسُ قَائِمٌ إِلَى جَنْبِهِ مُلِحٌّ فِي الدُّعَاءِ وَعَيْنَاهُ تَهْمِلانِ "

📖 انساب الاشراف للبلاذري برقم ١١١٤ ص ٥٧١

وكذلك ما رواه ابن عساكر قال أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْبَاقِي ، أنا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ ، أنا أَبُو عُمَرَ بْنُ حَيَّوَيْهِ ، أنا أَحْمَدُ بْنُ مَعْرُوفٍ ، أنا الْحُسَيْنُ بْنُ الْفَهْمِ ، نا مُحَمَّد بن سعد ، أنا مُحَمَّدُ بْنُ عُمَرَ ، حَدَّثَنِي أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، عَنْ مَيْمُونِ بْنِ مَيْسَرَةَ ، عَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ قَالَ : نَظَرْتُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ يَوْمًا فِي الرَّمَادَةِ غَدَا مُتَبَذِّلا مُتَضَرِّعًا عَلَيْهِ بُرْدٌ لا يَبْلُغُ رُكْبَتَيْهِ، يَرْفَعُ صَوْتَهُ بالاسْتِسْقَاءِ وَعَيْنَاهُ تُهْرَاقَانِ عَلَى خَدَّيْهِ، وَعَنْ يَمِينِهِ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَدَعَا يَوْمَئِذٍ وَهُوَ مُسْتَقْبِلٌ الْقِبْلَةَ رَافِعًا يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَعَجَّ إِلَى رَبِّهِ فَدَعَا وَدَعَا النَّاسُ مَعَهُ، ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِ الْعَبَّاسِ، فَقَالَ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ بِعَمِّ رَسُولِكَ إِلَيْكَ ، فَمَا زَالَ الْعَبَّاسُ قَائِمًا إِلَى جَنْبِهِ مَلِيًّا، وَالْعَبَّاسُ يَدْعُو وَعَيْنَاهُ تَهْمِلانِ .

📖 تاريخ دمشق لابن عساكر برقم ٢٦٨٢٠ ص ٩٦٧٤

• فرد المجيزون للتوسل والمخالفون : طرق الاحاديث لا تصح وإليكم تحقيق الحديثين :–

١– اسحاق الفروي : قال النسائي هو ضعيف ومرة متروك .

وقال الدارقطنى : ضعيف وقد روى عنه البخارى ويوبخونه فى هذا ، وقال الدارقطنى أيضا : لا يُترك (يُتابع على حديثه) . قال أبو حاتم : صدوق وربما لُقن لذهاب بصره ، وقال مرة : مضطرب ، ووهاه أبو داود
وقال الساجى : فيه لين وقال العقيلى : جاء عن مالك بأحاديث كثيرة لا يُتابع عليها وقال الحاكم : عِيب على محمد البخارى إخراج حديثه وقد غمزوه ، وقال فيه ابن حجر : صدوق ، كف فساءحفظه . اهـــ

٢- أسامة بن زيد بن أسلم العدوى القرشى المدنى مولى عمر بن الخطاب **ضعيف متفق على ضعفه**

٣- مَيْمُونِ بْنِ مَيْسَرَةَ : **مجهول الحال** ذكره البخارى وابى حاتم الرازى فى التاريخ الكبير والجرح والتعديل ، وقالا : روى عن أبي هريرة روى عنه يعلى بن عطاء ولم يعدلاه أو يجرحاه

٤- محمد بن عمر بن واقد الاسلمى المدنى : **مُتهم بالوضع**

وبناء على ما سبق فالحديث ضعيف ولا تقوم به حجة

• قال المانعون من التوسل بذات النبى والصالحين خامساً : إن مما علم النبى ﷺ الأعمى أن يقوله : (وشفعنى فيه) أى اقبل شفاعتى ، أى دعائى فى أن تقبل شفاعته ﷺ أى دعاءه فى أن ترد علي بصرى هذا المعنى الذى لا يمكن أن يفهم من هذه الجملة سواه. ولهذا ترى المجيزين للتوسل بالذات والمخالفين يتجاهلونها ولا يتعرضون لها من قريب أو من بعيد لأنها تنسف بنيانهم من القواعد وتجتثه من الجذور، وإذا سمعوها رأيتهم ينظرون إليك نظر المغشى عليه . ذلك أن شفاعة الرسول ﷺ في الأعمى مفهومة، ولكن شفاعة الأعمى في الرسول ﷺ كيف تكون ؟ لا جواب لذلك عندهم البتة ومما يدل على شعورهم بأن هذه الجملة تبطل تأويلاتهم أنك لا ترى واحداً منهم يستعملها فيقول في دعائه مثلاً : اللهم شفع فيَّ نبيك ، وشفعنى فيه

• فرد المجيزون للتوسل بذات النبى والصالحين :- الحديث الصحيح هو الذى اخره شفعه فى اما كلمة شفعنى فيه فلا تصح وهى وهم وشك من بعض الرواة كما فى حديث عند ابن خزيمة قال حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارٍ وَأَبُو مُوسَى ، قَالا : حَدَّثَنَا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ ، نَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدَنِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَارَةَ بْنَ خُزَيْمَةَ يُحَدِّثُ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلا ضَرِيرًا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ : " إِنَّ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ، وَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ " قَالَ أَبُو مُوسَى، قَالَ : فَادْعُهُ وَقَالا : فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، قَالَ بُنْدَارٌ : فَيُحْسِنُ، وَقَالا: وَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَيَدَعُو بِهَذَا الدُّعَاءِ " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتَقْضِيَ لِي اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ " زَادَ أَبُو مُوسَى :وَشَفِّعْنِي فِيهِ ، قَالَ : ثُمَّ كَأَنَّهُ شَكَّ بَعْدُ فِي : وَشَفِّعْنِي فِيهِ .

صحيح ابن خزيمة ١١٥٠

والحديث الذي اخرجه ابو بكر الحنائي قال أَخْبَرَنَا أَبُو بَكْرٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالٍ الْحِنَّائِيُّ قِرَاءَةً عَلَيْهِ وَأَنَا أَسْمَعُ، فثنَا أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الدَّقَّاقُ الْمَعْرُوفُ بِابْنِ السَّمَّاكِ ، فَثنَا أَحْمَدُ بْنُ الْوَلِيدِ الْفَحَّامُ ، فَثنَا رَوْحُ بْنُ عُبَادَةَ ، فَثنَا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدَنِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَارَةَ بْنَ خُزَيْمَةَ بْنِ ثَابِتٍ يُحَدِّثُ، عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ أَنَّ رَجُلًا ضَرِيرًا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، فَقَالَ : " إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتُ ذَلِكَ

فَهُوَ أَفْضَلُ لأَجْرِكَ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ لَكَ ".قَالَ : لَا، بَلِ ادْعُ اللَّهَ لِي.قَالَ : فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَأَنْ يَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي فَتُقْضَى لِي وَشَفِّعْنِي فِيهِ وَشَفِّعْهُ فِيَّ، قَالَ وَكَانَ يَقُولُ هَذَا مِرَارًا.ثُمَّ قَالَ بَعْدُ : أَحْسَبُ أَنَّ فِيهَا فَشَفِّعْنِي فِيهِ.قَالَ : فَفَعَلَ الرَّجُلُ فَبَرِئَ)

📖 الجزء الثالث من فوائد الحنائي لابو القاسم الحنائي حديث رقم ٢٢ ص ١٢

وأخرج الحاكم في المستدرك قال حَدَّثَنَا أَبُو الْعَبَّاسِ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ ، ثنا الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ الدُّورِيُّ ، ثنا عُثْمَانُ بْنُ عُمَرَ ثنا شُعْبَةُ ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدِينِيِّ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَارَةَ بْنَ خُزَيْمَةَ ، يُحَدِّثُ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ ، أَنَّ رَجُلا ضَرِيرًا أَتَى النَّبِيَّ فَقَالَ : ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، فَقَالَ : " إِنْ شِئْتَ أَخَّرْتَ ذَلِكَ وَهُوَ خَيْرٌ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ "، قَالَ : فَادْعُهُ، قَالَ : فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ وُضُوءَهُ، وَيُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ وَيَدْعُوَ بِهَذَا الدُّعَاءِ فَيَقُولُ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ، وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي تَوَجَّهْتُ بِكَ إِلَى رَبِّي فِي حَاجَتِي هَذِهِ فَتُقْضَى لِي ، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ وَشَفِّعْنِي فِيهِ .

📖 اخرجه الحاكم برقم ١١١٣ قال الحاكم هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

وقد اخطا الحاكم فالحديث ضعيف فيه أَبِي جَعْفَرٍ الْمَدِينِيِّ : وهو عبد الله بن جعفر بن نجيح السعدى
قال ابن حجر : ضعيف تغير حفظه بأخره ، الذهبي : ضعفوه ، وقال الترمذى : ضعفه يحى بن معين ، وغيره
قال ابراهيم بن يعقوب الجوزجاني : واهي الحديث ، كان فيما يقولون مائلا عن الطريق
البخاري :ضعفه وقال :تكلم فيه يحيى بن معين ، وقال العقيلى : ضعيف
قال ابو حاتم الرازى : مُنكر الحديث جدا ، ضعيف الحديث يحدث عن الثقات بالمناكير يكتب حديثه ولا يحتج به
ابو احمد بن عدى الجرجانى : ذكره فى الكامل وقال : وعامة حديثه عن من يروى عنهم لا يُتابعه أحد عليه وهو مع ضعفه ممن يكتب حديثه ، والدارقطني : ذكره فى الضعفاء والمتروكين وقال :كثير المناكير

- وفى هذا المبحث الرابع والخامس لا توجد أدلة للمانعين من التوسل كما بينا بالادلة الموثقة والرد العلمى المُعتبر ومازال الامر محسوم حتى الان للمُجيزين للتوسل بجاه النبى والصالحين

- قال المانعون من التوسل بذات النبى ﷺ والصالحين سادساً :-

إن هذا الحديث ذكره العلماء في معجزات النبي ﷺودعائه المستجاب، وما أظهره الله ببركة دعائه من الخوارق والإبراء من العاهات ، فإنه بدعائه ﷺ لهذا الأعمى أعاد الله عليه بصره ، ولذلك رواه المصنفون فى "دلائل النبوة" كالبيهقي وغيره فهذا يدل على أن السر في شفاء الأعمى إنما هو دعاء النبي ﷺوليس بذاته لانه لو كان بذاته .ﷺ لدعا به كل من كان من العميان مخلصاً إليه تعالى ، منيباً إليه لعوفي ، بل على الأقل لعوفى واحد منهم ، وهذا ما لم يكن ولعله لا يكون أبداً .
كما أنه لو كان السر في شفاء الأعمى أنه توسل بجاه النبي ﷺ وقدره وحقه، كما يفهم عامة المتأخرين، لكان من المفروض أن يحصل هذا الشفاء لغيره من العميان الذين يتوسلون بجاهه ﷺ بل ويضمون إليه أحياناً جاه جميع الأنبياء المرسلين، وكل الأولياء والشهداء والصالحين، وجاه كل من له جاه عند الله من الملائكة، والإنس والجن أجمعين ! ولم نعلم ولا نظن أحداً قد علم حصول مثل هذا خلال القرون الطويلة بعد وفاته ﷺ إلى اليوم .

• فرد البعض من المجيزون التوسل بذات الصالحين : – ولماذا لا تقولون أنه شُفى ببركة ذات الرسول أليست فى ذات الرسول بركة ثم ان التوسل بجاه الاموات بدعة فنحن نشترط أن يكون سواء النبى او الصالحين ان يكونوا أحياء لحديث عمر فى إستسقاءه بالعباس ، لانه حى ولم يتوسل بالنبى لموته ﷺ .

• قال المانعون من التوسل بذات النبى ﷺ والصالحين سابعا :– حديث الأعمى إنما يدور حول التوسل بدعائه ﷺ وأنه لا علاقة له بالتوسل بالذات ، فحينئذ يتبين أن قول الأعمى فى دعائه: (اللهم إني أسألك وأتوسل إليك بنبيك محمد ﷺ) إنما المراد به : أتوسل إليك بدعاء نبيك ، أي على حذف المُضاف ، وهذا أمر معروف فى اللغة كقوله تعالى : (وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِى أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) يوسف ٨٢
أي أهل القرية وأصحاب العير ، ونحن والمخالفين متفقون على ذلك ، أى على تقدير مضاف محذوف ، وهو مثل ما رأينا في دعاء عمر وتوسله بالعباس، فإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـــ (جاه) نبيك ، ويا محمد إني توجهت بـــ (ذات) ـــك أو (مكانت) ـــك إلى ربى كما يزعمون ، وإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـــ (دعاء) نبيك ، ويا محمد إني توجهت بـــ (دعاء) ـــك إلى ربي كما هو قولنا ، ولا بد لترجيح احد التقديرين من دليل يدل عليه ، فأما تقديرهم (بجاهه) فليس لهم عليه دليل لا من هذا الحديث ولا من غيره ، إذ ليس فى سياق الكلام ولا سباقه تصريح أو إشارة لذكر الجاه أو ما يدل عليه إطلاقاً ، كما أنه ليس عندهم شيء من القرآن أو من السنة أو من فعل الصحابة يدل على التوسل بالجاه ، فيبقى تقديرهم من غير مُرجح ، فسقط من الاعتبار ، والحمد لله ، وأما تقديرنا فيقوم عليه أدلة كثيرة تقدمت فى الوجوه السابقة .

• وثمة أمر آخر جدير بالذكر، وهو أنه لو حمل حديث الضرير على ظاهره ، وهو التوسل بالذات لكان معطلاً لقوله فيما بعد : (اللهم فشفعه فى وشفعىي فيه) وهذا لا يجوز كما لا يخفى فوجب التوفيق بين هذه الجملة والتي قبلها وليس ذلك إلا على ما حملناه من أن التوسل كان بالدعاء، فثبت المراد وبطل الاستدلال به على التوسل بالذات والحمد لله. على أنني أقول (الالباني) : لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته ﷺ فيكون حكماً خاصاً به ﷺ لا يشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح، لأن هﷺ سيدهم وأفضلهم جميعاً، فيمكن أن يكون هذا مما خصه الله به عليهم ككثير مما صح به الخبر وباب الخصوصيات لا تدخل فيه القياسات فمن رأى أن توسل الأعمى كان بذاته لله ، فعليه أن يقف عنده ، ولا يزيد عليه كما نقل عن الإمام أحمد والشيخ العز بن عبد السلام رحمهما الله تعالى . هذا هو الذي يقتضيه البحث العلمي مع الإنصاف والله الموفق للصواب . اهـــ

📖 التوسل أنواعه وأحكامه ص ٧٧ لـــ محمد ناصر الدين الالباني

• فرد المجيزون للتوسل بذات الصالحين :–

قد بينا قبل ضعف زيادة (وشفعنى فيه) ، وأما قول الالبانى رحمه الله (لو صح أن الأعمى إنما توسل بذاته ﷺ فيكون حُكماً خاصاً به ﷺ لا يُشاركه فيه غيره من الأنبياء والصالحين ، وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح) فهذه شهادة منه رحمه الله بأنه يسوغ الخلاف مع بعض المجيزين وهم الامام احمد الذى يُجيز التوسل بذات الرسول فقط دون الصالحين وتابعه على ذلك العز بن عبد السلام الحنفى .

ثانيا : ما الدليل على دعوى الخصوصية ، فنحن نعلم جميعاً أن الخصوصية إدعاء ، ولابد لها من دليل فما هو ؟ !!
ثم ما معنى جملة (وإلحاقهم به مما لا يقبله النظر الصحيح) فهى مع انها تشعر بدخول الرأى و الذوق إلا أنى أتساءل هل الشوكانى ليس صاحب نظر صحيح ؟ !!

ولكن نقف هنا الي نهاية المناقشة بين المانعين للتوسل بذات النبي والصالحين ، وبين المجيزين للتوسل بذات النبى ﷺ والصالحين نقف على دليل نعلن فيه انتصار أدلة المنع من هذا النوع من التوسل ، ونعلن أنه لا يسوغ الخلاف فيه ، ولو كان المُخالف أحمد بن حنبل والعز بن عبد السلام ومحمد بن عبد الوهاب ، وهذا الدليل هو الفيصل في ألمسالة ففى النصوص السابقة مُتشابهات وعمومات ومُجملات وطريق العلم أن يُرد المُتشابه إلى المُحكم وأن يُحمل العام على الخاص وأن يُرد المُجمل الى المُفصل وأن يُرد المُشكل الى المُبين .

والدليل هو ⟸ فهم وفعل الصحابة

قال تعالي (وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا) النساء ١١٥ وقال ﷺ { إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِى فَسَيَرَى اخْتِلاَفًا كَثِيرًا فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِى وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ } . سنن ابي داود برقم ٤٦٠٩ وقال الالباني صحيح

- **فهم وفعل الصحابة مثل** : الحديث الذي اخرجه يعقوب بن سفيان قال حَدَّثَنَا أَبُو الْيَمَانِ ، قَالَ : حَدَّثَنَا صَفْوانُ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْخَبَائِرِيِّ أَنَّ السَّمَاءَ قَحطَتْ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ ، وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَتَسَقَّوْنَ. فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمِنْبَرِ، قَالَ :" أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ فَنَادَاهُ النَّاسُ، فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَأَمَرَ مُعَاوِيَةُ فَصَعَدَ الْمِنْبَرَ فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ :" اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ بِيَزِيدَ بْنِ الْأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ ، يَا يَزِيدُ ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى اللَّهِ "، فَرَفَعَ يَزِيدُ يَدَيْهِ وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ، فَمَا كَانَ أَوْشَكَ أَنْ فَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْغَرْبِ كَأَنَّهَا تِرْسٌ وَهَبَّتْ لَهَا رِيحٌ، فَسُقِينَا حَتَّى كَادَ النَّاسُ أَنْ لَا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ .

(المعرفة والتاريخ ليعقوب بن سفيان حديث رقم (٩٠٤ ص ٤٤٨)

وما اخرجه ابن عساكر قال أَخْبَرَنَا أَبُو مُحَمَّدِ بْنُ طَاوُسٍ ، ثنا عَاصِمُ بْنُ الْحَسَنِ ، ثنا أَبُو عُمَرَ بْنُ مَهْدِيٍّ ، ثنا أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ إِسْحَاقَ الْمِصْرِيُّ ، ثنا إِبْرَاهِيمُ بْنُ أَبِي دَاوُدَ الْبُرُلُّسِيُّ ، ثنا أَبُو الْيَمَانِ الْحَكَمُ بْنُ نَافِعٍ ، ثنا صَفْوَانُ بْنُ عَمْرٍو ، عَنْ سُلَيْمِ بْنِ عَامِرٍ الْخَبَائِرِيِّ ، أَنَّ السَّمَاءَ قُحِطَتْ، فَخَرَجَ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَأَهْلُ دِمَشْقَ يَسْتَسْقُونَ، فَلَمَّا قَعَدَ مُعَاوِيَةُ عَلَى الْمِنْبَرِ قَالَ : أَيْنَ يَزِيدُ بْنُ الأَسْوَدِ الْجُرَشِيُّ، فَنَادَاهُ النَّاسُ، فَأَقْبَلَ يَتَخَطَّى النَّاسَ، فَأَمَرَهُ مُعَاوِيَةُ، فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَقَعَدَ عِنْدَ رِجْلَيْهِ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ : اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِخَيْرِنَا وَأَفْضَلِنَا، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ الْيَوْمَ بِيَزِيدَ بْنِ الأَسْوَدِ الْجُرَشِيِّ، يَا يَزِيدُ، ارْفَعْ يَدَيْكَ إِلَى اللَّهِ، فَرَفَعَ يَزِيدُ يَدَيْهِ، وَرَفَعَ النَّاسُ أَيْدِيَهُمْ، فَمَا كَانَ أَوْشَكَ أَنْ ثَارَتْ سَحَابَةٌ فِي الْغَرْبِ، كَأَنَّهَا تُرْسٌ، وَهَبَّتْ لَهَا رِيحٌ، فَسُقِينَا، حَتَّى كَادَ النَّاسُ أَنْ لا يَبْلُغُوا مَنَازِلَهُمْ .

(تاريخ دمشق لابن عساكر برقم ٧٠٨٧٣)

وفي هذا الحديث يتجلي فعل وفهم الصحابة لمعني التوسل والاستشفاع بالصالحين ، فلا يسع عاقل فضلا عن المسلم المُتبع للحق إلا أن يقول سمعنا واطعنا .

وهذا الحديث الذي مضى يكفى للاستدلال به ويغنى عن كثرة الاسترسال في الادلة ولكن أزيد دليلا واحدا استئناسا به ومبالغة في اظهار الحق **لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ**

وهو ما اخرجه مسلم عن أُسَيْر بن عمرو ويقال : ابن جابر قَالَ : كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب ﷺ إِذَا أَتَى عَلَيهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ سَأَلَهُمْ : أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ ؟ حَتَّى أَتَى عَلَى أُوَيْسٍ ﷺ فَقَالَ لَهُ : أَنْتَ أُوَيْسُ ابْنُ عَامِرٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلاَّ مَوْضِعَ دِرْهَمٍ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : لَكَ وَالِدَةٌ ؟ قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول :(يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ موْضِعَ دِرْهَمٍ ، لَهُ وَالِدةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ ، فإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَل) فَاسْتَغْفِرْ لي فَاسْتَغْفَرَ لَهُ فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : أَيْنَ تُرِيدُ ؟ قَالَ : الكُوفَةَ ، قَالَ : أَلاَ أَكْتُبُ لَكَ إِلَى عَامِلِهَا ؟ قَالَ : أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ (غَبْرَاءِ النَّاسِ بفتح الغين المعجمة وإسكان الباء وبالمد :وهم فُقَرَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَفُ عَيْنُهُ مِنْ أخلاطِهِمْ) أَحَبُّ إِلَيَّ ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ ، فَوافَقَ عُمَرَ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ فَقَالَ : تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَليلَ المَتَاع (أي حقارة المتاع وضيق العيش) قَالَ : سَمِعْتُ رَسُول اللهِ ﷺ يقولُ (يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ اليَمَنِ مِنْ مُرَادٍ ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلاَّ مَوضِعَ دِرْهَمٍ لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لأَبَرَّهُ ، فَإنِ اسْتَطَعتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ ، فَافْعَلْ) فَأَتَى أُوَيْساً فَقَالَ : اسْتَغْفِرْ لِي قَالَ : أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْداً بسَفَرٍ صَالِحٍ ، فَاسْتَغْفِرْ لِي قَالَ : لَقِيتَ عُمَرَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فاسْتَغْفَرَ لَهُ ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ ، فَانْطَلَقَ عَلَى وَجْهِهِ .

مسلم . ٢٢٣ و ٢٥٤٢

وفي رواية لمسلم أيضاً عن أُسَيْر بن جابر رضي الله عنه : أنَّ أَهْلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَى عُمَرَ رضي الله عنه وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ ، فَقَالَ عُمَرُ : هَلْ هاهُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ ؟ فَجَاءَ ذلِكَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ عمرُ : إنَّ رَسُول اللهِ ﷺ قَدْ قَالَ (إنَّ رَجُلاً يَأْتِيكُمْ مِنَ اليَمَنِ يُقَالُ لَهُ : أُوَيْسٌ ، لاَ يَدَعُ باليَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللهَ تَعَالَى فَأَذْهَبَهُ إلاَّ مَوضِعَ الدِّينَارِ أو الدِّرْهَمِ ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ) .

وفي رواية لَهُ : عن عمر ﷺ قَالَ : إنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول (إنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ ، فَمُرُوهُ ، فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ)

وفي هذا الحديث دليل علي أن اويس مع صلاحه لم يسئله عمر ﷺ اكثر من الدعاء ولم يتوسل بذاته والا لما بحث عنه

- وايضا ترك الصحابة لهذا النوع مع وجود المُقتضى (الدوافع) وانتفاء الموانع دال على بدعيته وأنه لم يكن معروفا لديهم ، فلم يثبت عن صحابي واحد أنه توسل بذات الرسول وقد بين العلامة الالبانى فيما مضي أنه إما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـــ (جاه) نبيك ويا محمد إني توجهت بـــ (ذات) ـــك أو (مكانت) ـــك إلى ربي كما يزعمون وإما أن يكون التقدير: إني أتوجه إليك بـــ (دعاء) نبيك ويا محمد إني توجهت بـــ (دعاء) ـــك إلى ربي كما هو قولنا .

ولابد لترجيح احد التقديرين من دليل يدل عليه . فأما تقديرهم (بجاهه) فليس لهم عليه دليل وليس عندهم شيء من القرآن أو من السنة أو من فعل الصحابة يدل على التوسل بالجاه ، فيبقى تقديرهم من غير مُرجح ، فسقط من الاعتبار والحمد لله ، وأما تقديرنا فيقوم عليه أدلة كثيرة ، تقدمت فى الوجوه السابقة . وخاصة حديث معاوية فى الاستسقاء والاستشفاع بـــ يزيد بن الاسود الجرشي ، وحديث عمر مع اويس القرنى . اهـــ

• وأخيرا شبهات حقيرة للمُجيزين التوسل بذات النبى والصالحين (قائل هذه الشبه الحقيرة هم : الصوفية المُبتدعة وليس الائمة احمد والعز والشوكاني) تعالى الله عما يقول الجاهلون علوا كبيرا وهو : قياس الخالق على المخلوقين :

يقول المُخالفون :– إن التوسل بذوات الصالحين وأقدارهم أمر مطلوب وجائز ، لأنه مبنى على منطق الواقع ومتطلباته ذلك أن أحدنا إذا كانت له حاجة عند ملك أو وزير أو مسؤول كبير فهو لا يذهب إليه مباشرة لأنه يشعر أنه ربما لا يلتفت إليه هذا إذا لم يرده أصلاً، ولذلك كان من الطبيعي إذا أردنا حاجة من كبير فإننا نبحث عمن يعرفه ويكون مقرباً إليه أثيراً عنده ونجعله واسطة بيننا وبينه فإذا فعلنا ذلك استجاب لنا وقضيت حاجتنا، وهكذا الأمر نفسه في علاقتنا بالله ﷻ بزعمهم فالله ﷻعظيم العظماء وكبير الكبراء ونحن مذنبون عصاة وبعيدون لذلك عن جناب الله، ليس من اللائق بنا أن ندعوه مباشرة ، لأننا إن فعلنا ذلك خفنا أن يردنا على أعقابنا خائبين ، أو لا يلتفت إلينا فنرجع بخفي حنين وهناك ناس صالحون كالأنبياء والرسل والشهداء قريبون إليه سبحانه يستجيب لهم إذا دعوه ويقبل شفاعتهم إذا شفعوا لديه ، أفلا يكون الأولى بنا والأحرى ، أن نتوسل إليه بجاههم ، ونقدم بين يدي دعائنا ذكرهم، عسى أن ينظر الله تعالى إلينا إكراماً لهم ، ويجيب دعاءنا مراعاة لخاطرهم ، فلماذا تمنعون هذا النوع من التوسل ، والبشر يستعملونه فيما بينهم فلم لا يستعملونه مع ربهم ومعبودهم ؟

ونقول جواباً على هذه الشبهة : إنكم يا هؤلاء إذن تقيسون الخالق على المخلوق ، وتشبهون قيوم السماوات والأرض أحكم الحاكمين ، الرؤوف الرحيم بأولئك الحكام الظالمين ، والمتسلطين المتجبرين الذين لا يأبهون لمصالح الرعية ويجعلون بينهم وبين الرعية حجباً وأستاراً، فلا يمكنها أن تصل إليهم إلا بوسائط ووسائل، ترضي هذه الوسائط بالرشاوي والهبات، وتخضع لها وتتذلل، وتترضاها وتقرب إليها، فهل خطر ببالكم أيها المساكين أنكم حين تفعلون ذلك تذمون ربكم وتطعنون به ، وتؤذونه ، وتصفونه بما يمقته وما يكرهه سبحانه جل جلاله
هل خطر ببالكم أنكم تصفون الله تعالى بأبشع الصفات حين تقيسونه على الحكام الظلمة، والمتسلطين الفجرة، فكيف يسّوغ هذا لكم دينكم، وكيف يتفق هذا مع ما يجب عليكم من تعظيمكم لربكم، وتمجيدكم لخالقكم
ترى لو كان يمكن لأحد الناس أن يخاطب الحاكم وجهاً لوجه، ويكلمه دون واسطة أو حجاب أيكون ذلك أكمل وأمدح له أم حين لا يتمكن من مخاطبته إلا من خلال وسائط قد تطول وقد تقصر ؟

• يا هؤلاء إنكم تفخرون في أحاديثكم بعمر بن الخطاب وتمجدونه وتشيدون به وتبينون للناس أنه كان متواضعاً لا يتكبر ولا يتجبر ، وكان قريباً من الناس ، يتمكن أضعفهم من لقائه ومخاطبته ، وأنه كان يأتيه الأعرابي الجاهل الفظ من البادية فيكلمه دون واسطة أو حجاب ، فينظر في حاجته ويقضيها له إن كانت حقاً . ترى هل هذا النوع من الحكام خير وأفضل أم ذاك النوع الذي تضربون لربكم به الأمثال ، فما لكم كيف تحكمون ؟ وما لعقولكم أين ذهبت

وما لتفكيركم أين غاب وكيف ساغ لكم تشبيه الله تعالى بالملك الظالم ، أم كيف غطى عنكم الشيطان بشاعة قياس الله سبحانه على الأمير الغاشم

يا هؤلاء إنكم لو شبهتم الله تعالى بأعدل الناس وأتقى الناس وأصلح الناس لكفرتم فكيف وقد شبهتموه بأظلم الناس وأفجر الناس وأخبث الناس ؟

يا هؤلاء إنكم لو قستم ربكم جل جلاله على عمر بن الخطاب التقي العادل لوقعتم في الشرك ، فكيف تردى بكم الشيطان ، فلم ترضوا بذلك حتى أوقعكم في قياس ربكم على أهل الجور والفساد من الملوك والأمراء والوزراء ؟

• إن تشبيه الله تعالى بخلقه كفر كله حذر منه سبحانه حيث قال: (وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللّهِ مَا لاَ يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقاً مِّنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئاً وَلاَ يَسْتَطِيعُونَ * فَلاَ تَضْرِبُواْ لِلّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ) النحل : ٧٣ – ٧٤
كما نفى سبحانه أي مشابهة بينه وبين أي خلق من مخلوقاته فقال: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ) الشورى ١١
ولكن شر تشبيه ، أن يشبهه المرء بالأشرار والفجار والفساق من الولاة،وهو يظن أنه يحسن صنعاً !
إن هذا هو الذى يحمل بعض العلماء والمحققين على المبالغة في إنكار التوسل بذوات الأنبياء واعتباره شركاً ، وإن كان هو نفسه ليس شركاً عندنا بل يخشى ان يؤدي إلى الشرك ، وقد أدى فعلاً بأولئك الذين يعتذرون لتوسلهم بذلك التشبيه السابق الذي هو الكفر بعينه لو كانوا يعلمون.

• ولذلك قال الإمام العز بن عبد السلام في رسالة "الواسطة " (ص٥): (ومن أثبت الأنبياء وسواهم من مشايخ العلم والدين وسائط بين الله وبين خلقه كالحجّاب الذين بين الملك ورعيته ، بحيث يكونون هم يرفعون إلى الله تعالى حوائج خلقه وأن الله تعالى إنما يهدي عباده ويرزقهم وينصرهم بتوسطهم ، بمعنى أن الخلق يسألونهم ، وهم يسألون الله كما أن الوسائط عند الملوك يسألون الملك حوائج الناس لقربهم منهم ، والناس يسألونهم أدباً منهم أن يباشروا سؤال الملك ولأن طلبهم من الوسائط أنفع لهم من طلبهم من الملك ، لكونهم أقرب إلى الملك من الطلب ، فمن أثبتهم وسائط على هذه الوجه فهو كافر مشرك يجب أن يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل، وهؤلاء مشبِّهون لله ، شبهوا الخالق بالمخلوق وجعلوا لله أنداداً. ...) .

• شبهة : هل هناك مانع من التوسل المبتدع (بذات النبى والصالحين) على وجه الإباحة لا الاستحباب ؟
قد يقول قائل:صحيح أنه لم يثبت في السنة ما يدل على استحباب التوسل بذوات الأنبياء والصالحين لكن ما المانع منه إذا فعلناه على طريق الإباحة لأنه لم يأتِ نهى عنه ؟
فأقول : هذه شبهة طالما سمعناها ممن يريد أن يتخذ موقفاً وسطاً بين الفريقين لكي يرضى كلاً منهما ، وينجو من حملاتهما عليه !

والجواب : يجب أن لا ننسى فى هذا المقام معنى الوسيلة إذ هي التى يتوصل بها إلى تحصيل المقصود كما تقدم بيانه .
ولا يخفى أن الذي يراد التوصل إليه إما أن يكون دينياً أو دنيوياً وعلى الأول لا يمكن معرفة الوسيلة التي توصل إلى الأمر الدينى إلا من طريق شرعي، فلو ادعى رجل أن توسله إلى الله ﷻ بآية من آياته الكونية العظيمة كالليل والنهار مثلاً سبب لاستجابة الدعاء لرد عليه ذلك إلا أن يأتي بدليل، ولا يمكن أن يقال حينئذ بإباحة هذا التوسل لأنه كلام ينقض بعضه

بعضاً إذ أنك تسميه توسلاً، وهذا لم يثبت شرعاً، وليس له طريق آخر في إثباته، وهذا بخلاف القسم الثاني من القسمين المذكورين وهو الدنيوي ، فإن أسبابه يمكن أن تعرف بالعقل أو بالعلم أو بالتجربة ونحو ذلك ، مثل الرجل يتاجر ببيع الخمر ، فهذا سبب معروف للحصول على المال ، فهو وسيلة لتحقيق المقصود وهو المال ، ولكن هذه الوسيلة نهى الله عنها ، فلا يجوز اتباعها بخلاف ما لو تاجر بسبب لم يحرمه الله ﷻ فهو مباح، أما السبب المدعى أنه يقرب إلى الله وأنه أرجى في قبوله الدعاء، فهذا سبب لا يعرف إلا بطريق الشرع ، فحين يقال : بأن الشرع لم يرد بذلك ، لم يجز تسميته وسيلة حتى يمكن أن يقال إنه مباح التوسل به .

• وشيء ثان : وهو أن التوسل الذي سلمنا بعدم وروده قد جاء فى الشرع ما يغني عنه ، وهو التوسلات الثلاثة التى سبق ذكرها في أول البحث فما الذي يحمل المسلم على اختيار هذا التوسل الذي لم يرد ، والإعراض عن التوسل الذى ورد ؟ وقد اتفق العلماء على أن البدعة إذا صادمت سنة فهي بدعة ضلالة اتفاقاً ، وهذا التوسل من هذا القبيل ، فلم يجز التوسل به ، ولو على طريق الإباحة دون الاستحباب !.

• وأمر ثالث : وهو أن هذا التوسل بالذوات يشبه توسل الناس ببعض المقربين إلى الملوك والحكام ، والله تبارك وتعالى ليس كمثله شيء باعتراف المتوسلين بذلك ، فإذا توسل المسلم إليه تعالى بالأشخاص فقد شبهه عملاً بأولئك الملوك والحكام كما سبق بيانه ، وهذا غير جائز .

(التوسل حقائق وشبهات أبو حميد عبد الله بن حميد الفلاسى ص١٦ وما بعدها)

• شبهة :– قياس التوسل بالذات على التوسل بالعمل الصالح

هذه شبهة أخرى يُثيرها بعض أولئك المبتدعين زينها لهم الشيطان ، ولقنهم إياها حيث يقولون : قد قدمتم أن من التوسل المشروع اتفاقاً التوسل إلى الله تعالى بالعمل الصالح ، فإذا كان التوسل بهذا جائزاً فالتوسل بالرجل الصالح الذى صدر منه هذا العمل أولى بالجواز ، وأحرى بالمشروعية ، فلا ينبغي إنكاره .

• والجواب من وجهين :– الوجه الأول : أن هذا قياس ، والقياس فى العبادات باطل كما تقدم ، وما مثل من يقول هذا القول إلا كمثل من يقول : إذا جاز توسل المتوسل بعمله الصالح – وهو بلا شك دون عمل الولى والنبى – جاز أن يتوسل بعمل النبى والولى ، وهذا باطل ، وما لزم منه باطل فهو باطل .

الوجه الثانى : أن هذه مُغالطة مكشوفة ، لأننا لم نقل كما لم يقل أحد من السلف قبلنا أنه يجوز للمسلم أن يتوسل بعمل غيره الصالح ، وإنما التوسل المُشار إليه إنما هو التوسل بعمل المتوسل الصالح نفسه ، فإذا تبين هذا ، قلبنا عليهم كلامهم السابق فقلنا : إذا كان لا يجوز التوسل بالعمل الصالح الذى صدر من غير الداعي ، فأولى ثم أولى ألا يجوز التوسل بذاته

• واخيراً : لقائل أن يقول مسألة (التوسل بذات النبى ﷺ والصالحين) مسألة يسوغ الخلاف فيها كما نص على ذلك الائمة الاعلام المجتهدين الكبار فلا ننكر ولا نهجر ونمضى فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه مثل :

احمد بن حنبل والعز ابن عبد السلام الحنفي قالا خاصا بالنبى ﷺ أما الامام الشوكانى فقد قال : وفي الباب أحاديث كثيرة سيأتي بعضها وجه التوسل بالأنبياء بالصالحين قوله ويتوسل إلى الله سبحانه بأنبيائه والصالحين أقول ومن التوسل

بالأنبياء ما أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح غريب والنسائي وابن ماجة وابن خزيمة في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم من حديث عثمان بن حنيف رضي الله عنه أن أعمى أتى النبي ﷺ فقال يا رسول الله ادع الله أن يكشف لي عن بصري قال أو أدعك فقال يا رسول الله أني قد شق علي ذهاب بصري قال فانطلق فتوضأ فصل ركعتين ثم قل اللهم أني أسألك وأتوجه إليك بمحمد نبي الرحمة الحديث وسيأتي هذا الحديث في هذا الكتاب عند ذكر صلاة الحاجة ، وأما التوسل بالصالحين فمنه ما ثبت في الصحيح أن الصحابة استسقوا بالعباس ﷺ عم رسول الله ﷺ وقال عمر ﷺ اللهم إنا نتوسل إليك بعم نبينا الخ قوله بخفض صوت أقول لحديث أربعوا على أنفسكم فإنكم لن تدعوا أصم ولا غائبا وهو في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى ﷺ .

📖 تحفة الذاكرين بعدة الحصن الحصين ص ٥٦ لــ / محمد بن علي بن محمد الشوكاني

• نقول أما العلماء الذين اجازوا هذا النوع فقد أخطاو ، وجانبوا الصواب وقد بينا خطاهم فيما مضى وضعف ووهن ادلتهم والمعصوم من عصمه الله ، وأما العلماء الذين سوغوا الخلاف فى هذه المسألة فقد أخطئوا ، مثل :-

١- شيخ الاسلام ابن تيمية : بعد ان ضعف حديث عثمان بن حنيف في عهد عثمان الذي امر فيه رجلا ان يقول في دعائه اتوجه اليك بنبيك قال: ومثل هذا لا تثبت به شريعة، كسائر ما ينقل عن آحاد الصحابة، في جنس العبادات أو الإباحات أو الإيجابات أو التحريمات، إذا لم يوافقه غيره من الصحابة عليه، وكان ما ثبت عن النبي (يخالفه لا يوافقه لم يكن فعله سنة يجب على المسلمين اتباعها، بل غايته أن يكون ذلك مما يسوغ فيه الاجتهاد ، ومما تنازعت فيه الأمة، فيجب رده إلى الله والرسول . 📖 (قاعدة جلية فى التوسل والوسيلة) لابن تيمية ص ١٤٨

• قلت (على شعبان) شيخ الاسلام يفترض لو صح الحديث وقد بينا سالفا أنه لايصح (أقصد حديث الصحابى عثمان بن حنيف لما أمر رجل جاء الي عثمان بن عفان أمره بالتوسل بالنبى) وقد أخطأ شيخ الاسلام لما قال بأن ذلك مما يسوغ الخلاف فيه والاجتهاد ، نعم أخطأ لآن المسائل العلمية العقائدية نصوصها مُحكمة لا تحتمل إلا معنى واحد فقط والخلاف فى أصغر شيء فى العقيدة مذموم ويُنكر فيه على المُخالف . اهــ

٢- شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب قال فى المسألة العاشرة : قولهم فى الاستسقاء : لا بأس بالتوسل بالصالحين وقول أحمد : يتوسل بالنبي ﷺ خاصة ، مع قولهم : إنه لا يستغاث بمخلوق ، فالفرق ظاهر جدًا ، وليس الكلام مما نحن فيه فكون بعض يرخص بالتوسل بالصالحين وبعضهم يخصه بالنبي ﷺ وأكثر العلماء ينهى عن ذلك ويكرهه فهذه المسألة من مسائل الفقه ولو كان الصواب عندنا قول الجمهور: إنه مكروه فلا ننكر على من فعله ، ولا إنكار في مسائل الاجتهاد لكن إنكارنا على من دعا لمخلوق أعظم مما يدعو الله تعالى ، ويقصد القبر يتضرع عند ضريح الشيخ عبد القادر أو غيره يطلب فيه تفريج الكربات ، وإغاثة اللهفات وإعطاء الرغبات فأين هذا ممن يدعو الله مخلصًا له الدين لا يدعو مع الله أحدًا ولكن يقول في دعائه : أسألك بنبيك أو بالمرسلين أو بعبادك الصالحين ، أو يقصد قبر معروف أو غيره يدعو عنده لكن لا يدعو إلا الله مخلصًا له الدين ، فأين هذا مما نحن فيه ؟

فتاوى ومسائل (مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب جزء ٤) دراسة وتحقيق : صالح بن عبدالرحمن الأطرم ، محمد بن عبدالرزاق الدويش ص ٥٧

• **تعقب يسير على الامام محمد عبد الوهاب : هنا عدة أخطاء لعل الشيخ لم يقصدها رحمه الله وهذا هو حسن الظن به وهى :-**

١- أنه جعل التوسل بذات النبيﷺ او الصالحين من مسائل الفقه ، وهذا خطأ واضح بين ، فالتوسل بجميع انواعه ، سواء مشروع او ممنوع من مسائل العقيدة .

٢- قوله (لا ننكر على من فعله) والشيخ او عامة من قال يسوغ الخلاف في مسالة التوسل بذات النبى ﷺ والصالحين اعتقد أن الآدلة أى أدلة المانعين وأدلة المجيزين تحتمل المعنيين ، وقد بينا خطا ذلك سابقا ، ةاللإشكال مع من قال أنه يسوغ الخلاف عدم رد المُتشابه الي المُحكم وهذا عذرهم ، فبعد ان رددنا المُتشابه الي المُحكم وبان لنا صحة الاحاديث من ضعيفها وبينا سبب الضعف وبينا فهم وفعل الصحابة ، فلا يسعنا إلا الانكار وعدم الالتفات لكلام من قال يسوغ الخلاف ولا ننكر ، مهما كان من القائل أُكرر مهما كان من القائل أُكرر مهما كان من القائل

٣- وأما قوله لا إنكار فى مسائل الاجتهاد : قد بينا أن مسالة التوسل بذات النبى والصالحين من العقيدة ، والعقيدة لا تدخل تحت مسائل الاجتهاد التى يقصدها الشيخ محمد عبد الوهاب فالشيخ يقصد بمسائل الاجتهاد : هى التى لم يقم دليل قطعى فى الشرع فى المسألة على دلالتها بحيث يفهم منها وجهان للمسألة يستوى مفهوم دلالتها ، ووجوه الجمع مختلفة ، والقول بالناسخ والمنسوخ يفتقر الي تحديد تاريخه ، والتصحيح والتضعيف محل نظر ، وهي ما لاتخالف نصا صريحا من الكتاب والسنة الصحيحة ووجوه الجمع بين النصوص صعبة وغيرميسرة ، والتناقض بينهما واضح وهذا لم يحدث فى هذه المسالة ، فقد بينا ان للمسالة وجه واحد لاسبيل لغيره ، وجمعنا بين الاحاديث ولم نُخالف نصاً واحداً من الكتاب والسنة ، ولم نُخالف فهم الصحابة بل اثبتنا أن ما ذهبنا له هو فهم الصحابة وفعلهم وبالله التوفيق والحمد لله .

• **ثم نقول لهم إن العلماء الاعلام لما سوغوا الاختلاف فى المسالة أخطاوا أُكرر أخطاوا ، فالخلاف السائغ ليس الذى يُسوغه العلماء ، وليس مجرد الامر الذى يختلف فيه العلماء فيما بينهم ، ولكن هو الذى لم يقم دليل قطعى فى الشرع فى المسألة على دلالته بحيث يُفهم منه وجهان للمسألة يستوى مفهوم دلالتها ووجوه الجمع مُختلفة والقول بالناسخ والمَنسوخ يَفتقر الى تحديد تاريخه والتصحيح والتضعيف محل نظر ، وهذا غير موجود فى المسأئل العلمية العقائدية**

وتكون أحوال النصوص مع هذا الخلاف :- أن يكون النص مقطوع بثبوته غيرمقطوع بدلالته (بمعني ظنى الدلالة) أو يكون النص ظنى الثبوت قطعى الدلالة ووجوه الجمع بين النصوص صعبة وغير مُيسرة والتناقض بينهما واضح ومن اراد المزيد يرجع الي بحث الانكار وهو ملحق فى مؤخرة بحث (الاتحاف فى ألتاصيل الصحيح لمسأئل الخلاف)

تنبيه : ليعلم كل من انتسب الى الاسلام سواء كان عالم مجتهد أو طالب علم مُميز أو عامى مُقلد أن العقيدة لا يسوغ فيها الخلاف وليس فى نصوص العقيدة من القران والسنة مُتشابهات ، ولكنها كلها مُحكمات وقد يوجد بعض النصوص مُشكلة ومُجملة وعامة ولكن برد هذه النصوص الى غيرها من المُبين والمُفصل يتضح المعنى وينجلى ويُحكم على أحسن وجه وليُعلم أن الاصل فى التقليد الحرمة أُكرر الاصل فى التقليد الحرمة ، لآن الاصل أن المُكلف مُطالب بالعلم وخاصة فى الامور العقائدية ، لانها مُتعلق بها ايمان وكفر أى (مُترتب عليها بقاءه فى الدين وخروجه من الدين)

... فالديانة إذن فى متابعة الحق بالدليل من الكتاب والسنة بفهم الصحابة لا أقول بفهم السلف ولكن بفهم الصحابة فقط لان كلمة السلف مطاطية مجملة يدخل فيها التابعين ومن بعدهم فناخذ الحق من لسان ومقال من قال به كائناً من كان والإعراض عن الخطأ ، وردّه على من قال به كائناً من كان ، وحذار من غلوٍ فى متبوع يصد عن اتباع المشروع وليكن شعارنا أن

(العلماء يُستدل على كلامهم ولا يُستدل بكلامهم)

ورحم الله القائل

(ألا لا يُقلدن أحدكم دينه رجلاً إن آمن آمن وإن كفر كفر فإنه لا أسوة فى الشر)

ولن أُطيل أكثر من ذلك فالُمنصِف يَكفِيه دليل ، وصاحب الهَوى لا يَكفِيه ألف دَليل

أسأل الله أن يوفقنا للعمل بكتابه وسنة رسوله على فهم الصحابة والتابعين لهم ، وأن يشرح صدورنا لذلك ، وأن نكون ممن يتوسل إلى الله توسلاً شرعياً لا بدعياً ، وأسأله أن يغفر لنا ذنوبنا ، وأن يُنجينا من عذاب النار وبئس القرار

شُكرٌ وعِرفَان

قال الله ﷻ ﴿ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ﴾ ابراهيم ٧

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا يَشْكُرُ اللَّهَ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ " مسند احمد ١٠٠٠٤ وصححه الالبانى

لذلك أتوجه بالشكر لله أولا ثم لوالدتى وزوجتى والى كل من أجرى الله على يديه من الفضل لى من المسلمين والى كل من نفعنى الله بعلمه من خلال درس أو كتاب أو نصيحة وعلى راسهم فضيلة الشيخ الدكتور العلامة / محمود بن عبد الرازق الرضوانى ، استاذ العقيدة والاديان والفرق والمذاهب المعاصرة وعميد دار العقيدة المصرية

فان أى طاعة لله ، لا يكون سببها فعل العبد لها وحده ، بل مئات الاسباب التى يقضيها الله بحكمته ورحمته وفضله فجزاهم الله عنى خيراً ، ونفع الله بهم وبنصحهم وتوجيهاتهم لى ، وفتح الله عليهم من العلم والفهم ما يُرضيه ﷻ

وأتقدم بالاعتذار عن أى كلمة لم أعنها فى حق أحد من المسلمين ، أو خاننى التعبير ولم أرم إليها ، وآسف عما شط به القلم ، راجياً أن يكون ما كتبته نقداً علمياً ، ينفع الله به المسلمين

واعلموا أن الخطا والزلل هما الغالبان على من خلق الله من عجل ، فلستُ أدعى العصمة والفهم الصحيح السليم المُنقى من الاخطاء والزلات معاذ الله :

لَقَدْ مَضَيْتُ خَلْفَ الرَّكْبِ ذَا عَرَجٍ ****** مُؤَمِّلاً جَبْرَ مَا لاقَيْتُ مِنْ عِرَجِ
فَإِنَّ لَحِقْتُ بِهِمْ مِنْ بَعدِ مَا سَبَقُوا ****** فَكَمْ لِرَب الوَّرَى فِى النَّاسِ مِنْ فَرجِ
وَإِنْ ضَلَلْتُ بقَفْرِ الأَرضِ مُنْقَطِعًا ****** فَمَا عَلَى أَعْرَجٍ فِى النَّاسِ مِنْ حَرَجِ

قابل للنصح والتوجيه أخوكم : على بن على بن شعبان مدينة القنطرة شرق الاسماعيلية ت/ ٠١٠٢٢٧٨٠٥٣٧